الخطط الموضوعة لمعركة العلمين

الفصل الرابع عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

عقب معركة "علم حلفا" قدَّر روميل أن الخسائر الكبيرة التي تكبَّدتها قواته في تلك المعركة لن يتيسَّر له استعاضتها قبل وقت طويل؛ نظراً للسيطرة الجوية والبحرية البريطانية على الجزء الأوسط من البحر المتوسط في ذلك الوقت، مما جعل قوافل الإمدادات المتجهة من الموانئ الإيطالية إلى الموانئ الليبية تصاب بخسائر جسيمة، وتبعًا لذلك لم يكن في مقدرة روميل شنَّ أي هجوم آخر بهذا الحجم الكبير على القوات البريطانية قبل عدة شهور، في الوقت الذي أخذت فيه الإمدادات تتدفَّق على الجيش الثامن من مصانع بريطانيا والولايات المتحدة، مما مكَّنه من إحراز التفوُّق العددي الساحق في الأسلحة والمعدات، وخاصة في القوات المدرعة والمدفعية التي كانت نسبة تفوقه فيهما على قوات المحور تبلغ 2 إلى 1، وإزاء هذه الأوضاع أصبح اهتمام روميل في تلك الآونة مركَّزاً على الوسائل التي يمكنه بها زيادة مقدرة قواته الدفاعية استعداداً لمواجهة الهجوم البريطاني المنتظر.

وكانت الخطة الدفاعية لقوات المحور كما يلي:

- **القطاع الشمالي**: كانت دفاعات المحور تتكون من ثلاث نطاقات قوية من المواقع الدفاعية التي تحتلها قوات من المشاة والمدعمة بمواقع مجهزة للدبابات والمدافع المضادة للدبابات، والتي تمتد أمامها مساحات عميقة من حقول الألغام، وقد حشد روميل في المواقع الأمامية من القطاع خمس فرق مشاة (4 إيطالية وواحدة ألمانية)، بينما وضع في الخلف الفرقة 15 بانزر الألمانية، وفرقة أريتي المدرعة الإيطالية.
- **احتياطي الجبهة**: فرقة تريستا الإيطالية، والفرقة 90 الخفيفة الألمانية.
- **أسلوب توزيع القوات**: كان أسلوب التوزيع مبنيًّا على الأسس التالية:

1. قام روميل هذه المرة بتوزيع القوات المدرَّعة بأسلوب يناقض أساليبه السابقة في

حرب الصحراء، كما يتنافى مع أحد مبادئ الحرب الأساسية، وهو مبدأ الحشد، فوضع الفرقة 15 بانزر في القطاع الشمالي، ووضع الفرقة 21 بانزر في القطاع الجنوبي، بينما وضع الفرقة 90 الخفيفة في الاحتياطي، وكلَّفها بواجب ثانوي وهو حراسة الشاطئ على أن تكون على الاستعداد للعمل كاحتياطي للقطاع الشمالي، ويبدو أن روميل كان يعتقد أن المجهود الرئيسي للهجوم البريطاني سوف يوجه إلى منتصف الخط الدفاعي للمحور عند تَبَّة الرويسات باعتباره أضعف نقطة في دفاعاته، مما سوف يهيئ له فرصة الإطباق بمدرعاته من الشمال والجنوب على القوات البريطانية القائمة بالهجوم لاحتوائها وتدميرها.

2. قام روميل بتوزيع لواء المظلات الألماني (الرامكي) الذي وصله من حامية كريت خلال شهر أغسطس السابق في مجموعات كتائب وسرايا (للعمل كوحدات مشاة بين التشكيلات الإيطالية)؛ لتدعيم هذه التشكيلات، وزيادة ثقتها في قواتها على القتال.

§ **الخطة الهجومية للقوات البريطانية**: كانت الخطة التي وضعها مونتجومري ترتكز على الأسس التالية:

- نظرًا لأنه كان من المتعذر تحقيق المفاجأة الإستراتيجية بسبب قرب مواقع الطرفين من بعضهما وعمق حقول الألغام، لذا أصبح الأمل معقودًا على إحراز المفاجأة التكتيكية التي لا يمكن تحقيقها إلا بوسائل محدودة مثل إخفاء قوة الهجوم، أو موعد بدئه، أو اتجاه المجهود الرئيسي؛ ونظرًا لأن نجاح الهجوم كان متوقفًا على سرعة فتح ثغرات واسعة وعميقة في حقول ألغام المحور ليتسنَّى للقوات البريطانية المرور عبرها لمهاجمة خط الدفاعات الأمامية للعدو، أصبح من الضروري أن يكون موعد بدء الهجوم ليلاً، وأن يكون في ليلة يسطع فيها ضوء القمر، ووفقًا لهذه الاعتبارات وقع اختيار مونتجومري على ليلة 23/ 24 أكتوبر التي يكون فيها القمر بدرًا.

- حرص مونتجومري على إخفاء حجم قواته المدرَّعة التي كان لديها التفوُّق الساحق على العدو، وذلك عن طريق سحبها لمسافة بعيدة خلف الدفاعات البريطانية في العلمين(80كم).
- قرر مونتجومري أن يكون اتجاه مجهوده الرئيسي صوب القطاع الشمالي في خط دفاع المحور الذي يضم أقوى نطاق دفاعاته ومعظم الفرق الألمانية (الفرقة 164 مشاة المنضمة حديثًا، والفرقة 15 بانزر، والفرقة 90 الخفيفة)، مما يجعل روميل يستبعد توجيه المجهود الرئيسي نحو هذا القطاع، وبذا يمكن تحقيق المفاجأة التكتيكية، فضلاً عن أن نجاح الهجوم في هذا القطاع يؤدي إلى سرعة السيطرة على خطوط مواصلات المحور التي تتركز في السهل الساحلي، وكذا على القواعد الإدارية الرئيسية الموجودة به، فضلاً عن المعاونة التي يستطيع الأسطول البريطاني تقديمها بضرب دفاعات المحور بمدافع ذات العيارات الكبيرة.
- أُسْنِدَ إلى الفيلق 30 البريطاني القيام بالهجوم بمواجهة أربع فرق لفتح ثغرتين في حقول الألغام بالقطاع الشمالي للمحور، وعبر هاتين الثغرتين يندفع الفيلق 10 المدرع (2 فرقة مدرعة وفرقة مشاة) إلى خلف دفاعات المحور لاحتلال مواقع إلى الغرب من هذه الدفاعات؛ لستر طرق الاقتراب التي سوف تستخدمها قوات المحور عند قيامها بشنِّ الهجوم المضاد على أن تندفع بعض وحدات من السيارات المدرعة غربًا للإغارة على المناطق الإدارية للمحور في منطقة الضبعة.
- أُسْنِدَ إلى الفيلق 13 البريطاني القيام بعمل ثغرة في حقول الألغام بالقطاع الجنوبي للمحور تمر عبرها الفرقة 7 المدرعة، ثم ينحرف بعدئذ هجوم قوات الفيلق ليكون من الجنوب إلى الشمال لتدمير مواقع المحور الدفاعية، وأُعطِيَت التعليمات لقائد الفيلق 13 بعدم التورط في أي قتال يكبِّده خسائر كبيرة، فإنه من المحتمل سحب الفرقة 7 المدرعة في المرحلة الأخيرة من المعركة لاستخدامها في

عمليات القطاع الشمالي، وكان أهم أهداف الفيلق 13 هو القيام بعمليات تؤدي إلى اعتقاد قيادة المحور بأن الاختراق سيحدث في القطاع الجنوبي، مما يحمله على حجز قواته أمام هذا القطاع، وخاصة قوات البانزر المدرعة.

التدابير السابقة

§ **خطة الخداع**: كان الغرض من وضع هذه الخطة هو خداع المخابرات الألمانية عن قوة الهجوم، واتجاه المجهود الرئيسي، وموعد الهجوم بهدف إحراز المفاجأة التكتيكية، وقد تم تحقيق ذلك بالوسائل التالية:

- **إخفاء قوة الهجوم**: كان أهم ما حرص عليه مونتجومري هو إخفاء قواته المدرَّعة، ولذا أمر بسحب الفرق المدرعة التابعة للفيلق 10 المدرع من الخط الأمامي لمسافة 80كم للخلف للقيام بالتدريب، ووضع مكانها في منطقة تشكيل الفيلق 10 المدرع كميات كبيرة من العربات والدبابات الهيكلية حتى يبدو لطائرات الاستطلاع أن هناك حشداً من الدبابات في هذه المنطقة، وعندما اقترب موعد الهجوم بدأت الفرق المدرعة التي يتشكَّل منها الفيلق 10 المدرع في التحرَّك ليلاً من مناطق حشدها في الخلف إلى مناطق تشكيلها في الخط الأمامي في الوقت الذي تمَّ فيه سحب عدد مماثل من العربات والدبابات الهيكلية من مناطق التشكيل الأمامية إلى مناطق الحشد الكاذبة في الخلف.
- **إخفاء اتجاه المجهود الرئيسي**: تم إخفاء الدبابات والمدافع ومستودعات التموين والذخائر في القطاع الشمالي على مواجهة الفيلق 30، وتم إنشاء مواقع ودشم في المنطقة الأمامية، وإظهارها بأنها محتلَّة بالجنود، وقبيل الهجوم احتُلَّت هذه المواقع والدشم ليلاً بالجنود دون أن يفطن العدو بالتغييرات التي جرت في القطاع الذي سيوجِّه منه المجهود الرئيسي للهجوم، وفي القطاع الجنوبي تم إنشاء عدد كبير من المستودعات والمخازن الهيكلية، وعدد طرق ومدقات، كما تم مد خط أنابيب مياه هيكلي لإيهام المحور أن المجهود الرئيسي سيوجَّه من هذا القطاع.

- **إخفاء موعد الهجوم**: وُضِعَت خطة سير العمل في إنشاء المستودعات، ومد أنابيب المياه بحيث تتم مراحل استكمالها ببطء، وبحيث يبدو أنه لا يمكن إتمامها قبل منتصف نوفمبر.

وقد نجحت خطة الخداع البريطانية بالفعل، فقد أكَّدت تقارير المخابرات الألمانية التي أُرسِلَت إلى قيادة الفيلق الأفريقي أن الهجوم البريطاني لن يقع بتاتًا خلال شهر أكتوبر.

§ **خطة معاونة الطيران**: بدأت الطائرات القاذفة في ضرب دفاعات المحور ومطاراته وخطوط مواصلاته قبل بدء المعركة بعشرة أيام ضربًا شديداً مركزاً، مما أتاح للطيران البريطاني الحصول على السيادة الجوية.

§ **المحافظة على الاتجاه**: اتُّخِذَت عدة وسائل للمحافظة على الاتجاه أثناء الهجوم ليلاً منها: استخدام البوصلة، وإطلاق مدافع (البوفرز) المضادة للطائرات قذائف مضيئة بخط مرور مسطَّح على جانبي ألوية المشاة، وذلك عند كل وقفة من وقفات غلالات النيران التي تطلقها المدفعية، كما كُلِّفَت القوات الأمامية بتعيين مواقعها خلال الهجوم بإطلاقها دفعات من نيران الرشاشات المضيئة من وقت لآخر في اتجاه رأسي، وكذلك توجيه بواعث الأنوار الكاشفة لأعلى بعد إضاءتها لكشف المطلوب من ميدان المعركة.

§ **عبور حقول الألغام**: تم تدريب جماعات المهندسين على عمل الثغرات في حقول الألغام، وكان يقف على مدخل كل ثغرة ضابط مهندس ومعه تليفون لاسلكي، وكان اتساع الثغرة في بادئ الأمر ثماني أقدام، ثم تزداد بعد ذلك ليصبح اتساعها 24 ياردة، وكان على الضابط المهندس إبلاغ القوات في الخلف من وقت لآخر عن مدى تقدم عملية فتح الثغرة واتساعها.

§ **التحضيرات الإدارية للهجوم**: تضمَّنت هذه التحضيرات البالغة الأهمية إنشاء عدة

طرق عبر الصحراء من مناطق الحشد الخلفية حتى خطوط ابتداء التشكيلات بالقطاعين الشمالي والجنوبي، وذلك لاستخدامها لنقل الذخائر والتعيينات والمياه من مستودعات القاعدة إلى أماكن تخزينها في المناطق الأمامية.

وقد أنشئ عدد كبير من أراضي الهبوط الأمامية، كما شُكِّلَت مجموعة إدارية خاصة كانت مكلَّفة بمتابعة تقدم القوات أثناء زحفها في اتجاه الغرب لتشغيل الموانئ فور الاستيلاء عليها، وتفريغ السفن التي تم شحنها بالفعل بكافة المطالب الإدارية، والتي تنتظر الإشارة للإبحار إلى هذه الموانئ.

وفي يوم الهجوم (23 أكتوبر) خرجت من الإسكندرية قافلة بحرية كبيرة حوالي الساعة 1600، واتجهت غربًا، وقد تمت عملية شحن هذه السفن بالجنود والعربات على مرأى من سكان الإسكندرية حتى يستطيع عملاء المحور مشاهدتها، والإبلاغ عنها لكي يوهم روميل أن هناك عملية إنزال جنود وراء الخطوط إلى البر، فلا يستخدم الفرقة 90 الخفيفة، ويظل متحيِّرًا بالنسبة لاتجاه الهجوم، وقد عادت معظم سفن القافلة مرة أخرى على ميناء الإسكندرية في الليل، بينما قامت باقي سفنها بمظاهرة هجومية ضد الشاطئ خلف مواقع المحور في العلمين، وكان توقيت الهجوم الخداعي بحيث يبدأ بعد الهجوم الرئيسي بثلاث ساعات، وبذلك يحرم روميل من استخدام احتياطيه، وفي نفس الوقت عزَّزت هذه العمليات اشتراك الأسطول في مواقع المحور الدفاعية وخط مواصلاته بالمدافع ضربًا قويًا.

وقد تم حشد قوات الهجوم للفيلقين 10، 30 في القطاع الشمالي دون أن تدرك مخابرات المحور هذا النشاط، ونجحت خطة الخداع حتى أن روميل كان ما يزال متغيِّبًا في ألمانيا عندما بدأ الهجوم، كما ظلت القوات المدرعة موزَّعة بين القطاعين الشمالي والجنوبي.